ملامح التلقى فى تفسير الألوسى

عاصم حمدى أحمد عبد الغنى (*)

الملخص

هذا البحث يتناول ملامح نظرية التلقى فى تفسير الألوسى فمن يطالع تفسير الألوسى باهتماماته اللغوية والبلاغية يلاحظ اهتمامه بالعديد من المسائل المتعلقة بالتلقى؛ فنجده مثلا يصور لنا موقع المتلقى من النص وتفاعله معه لإنتاج قراءة منتجه كما بين الألوسى بعض أشكال تأثير النص فى المتلقى ودور الظواهر اللغوية والبلاغية في ذلك وانطلق الباحث من كتب اللسانيات المعنية بهذه المسائل، ثم تابعها فى تفسير الألوسى لمعرفة ملامح هذه المسائل فى تفسيره وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة وقسمين قسم خاص بالنص وقسم خاص بالمتلقى.

وخلص هذا البحث إلى العديد من النتائج منها:

ــ تنبه الألوسى فى تفسير آى القرآن إلى دور الظواهر اللغوية والبلاغية فى التأثير فى المتلقى وإقناعه.

ــ ذكر الألوسى تعدد أحوال المتلقين وبين تأثير النص الواحد على متلقين مختلفين.

ــ بين الألوسى فى تفسيره كيف يتفاعل المتلقى مع النص وكيف يتيح النص بإمكاناته اللغوية هذا التفاعل كمثل أن يثير فى المتلقى سؤالا ثم يجيب النص عن هذا السؤال.

ــ بين الألوسى فى عديد من المواضع كيف يضبط النص شكل تلقيه.

الكلمات المفتاحية:

التلقى ــ الألوسى ــ ضبط الاستقبال ــ الإقناع ــ العدول

---

* الطالب بدرجة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس.

Forms of Reception Theory in Al-Alusi's Interpretation

Asim Ahmed Hamdy Abdel Ghani

ABSTRACT

This research deals with the echoes of reception theory in the Quranic interpretation of Al-alusi. The reader of the interpretation of Al-alusi with its linguistic and rhetorical concerns, notices his interest in many of the issues related to reception. For example he portrays us the position of the reader towards the text and its interaction with the reader to produce a productive reading. al-Alusi also indicates some patterns of the effect of the text on the recipient (the reader) and the role of linguistic phenomena and rhetorical in this.

The researcher started with books of linguistics concerned with these issues and then followed the issue in the interpretation of Al-alusi to know the features of these issues in the interpretation. This research has been divided into two sections, the part dealing with the text and the one dealing with the receiver (reader).

This research concludes with many results, including:

* al-Alusi cautions in the interpretation of the Quran to the role of linguistic and rhetorical phenomena in influencing and convincing the reader.
* al-Alusi mentioned multiplicity of conditions between the recipients and the effect of a single text on different audiences.
* al-Alusi indicated in his interpretation how the reader interacts with the received text and how its potential allows linguistic interaction. As in that the text raises a question then answers this question itself for the reader.
* al-Alusi indicated in many places how text adjusts the form in which it was received.

المقدمة:

منذ اللحظة الأولى لحديث البلاغيين عن المصطلحات البلاغية مثل: الفصاحة والبلاغة والبيان... وهم ينبهون على أهمية التأثير فى المتلقى ومراعاة أحواله ومطابقة الكلام لمقتضى حاله[1].

وكان هذا الاهتمام نابعا من طبيعة التواصل الأدبى نفسه؛ فصاحب النص لا ينظمه لنفسه، وإنما ينظمه لمتلق، ولا أهمية للنص بدون التفاعل بينه وبين متلقيه، وهذا التفاعل كفيل بتحقيق الهدف المطلوب من النص "فلا يمكن تصور عناصر لغوية تحدث تأثيرا على القارئ دون أداء دور فى تكوين دلالة النص، وكذا لا وجود فعلى لهذه الدلالة دون استحضار المتلقى الذى يتواصل مع النص ويرصد معانيه وأفكاره"[2].

والعلاقة بين البلاغة والتلقى علاقة وثيقة فالتلقى الحسن هدف البلاغة فنجاح القول البليغ يظهر فى القدرة على "الوصول إلى الآخر، ولك أن تتوقف قليلا عند مصطلح البلاغة نفسه لتجد فيه التلقى معبرا عن نفسه بمصدر الفعل بلغ"[3].

ويجب التفريق فى هذا المقام بين التلقى كظاهرة وبين ظهوره كنظرية؛ على يد المنظرين الذين حددوا لها مصطلحا باسمها، فقبل أن تظهر نظرية التلقى فى العصر الحديث كانت ظاهرة التلقى ضاربة فى القدم فمنذ أن كان هناك إبداع أدبى كان هناك تلق لهذا الإبداع.

ونظرية التلقى تشير على الإجمال إلى تحول جوهرى من الاهتمام بمبدع العمل إلى الاهتمام بالقارىء ويعد مقال هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauß في عام 1969 تحت عنوان " التغيير في نموذج الثقافة الأدبية " فى نظر الكثيرين نقطة انطلاق النظرية وفيه بشر ياوس Jauß بمولد نموذج أدبى جديد .

ولم تكن نظرية التلقى وليدة فكر فردى ولكنها كانت نتيجة لعمل جماعي منظم" فلقد اشترك هانس روبرت ياوس Hans Robert Jauß وهانس بولمنبرج Hans Blumenbergوكلمنس هيزلهاوسClemens Heselhaus وفولفجانج ايزرWolfgang Iser فى تاسيس جماعة للبحث العلمي تحمل اسم"الأدب والهرمينويتك". واجتمعت اللجنة للمرة الأولى فى ندوة عام 1963 عن "التقليد والخيال" وتقابلت فى هذه المجموعة علوم مختلفة فلسفية ولغوية وفنية واجتماعية وتاريخية ودينية، وذلك فى تحقيق لما حلم به ياوس من قبل وهو حوار العلوم الإنسانية النظرية، واستمر عمل هذه المجموعة خمسة وثلاثين عاما، وقدمت هذه المجموعة سبعة عشر مجلداً عن مواضيع مركزية فى العلوم الإنسانية الحديثة ظهر آخرها فى عام 1998، وياوس هو الوحيد الذى شارك فى جميع ندواتها وشارك فى جميع إسهاماتها ونادى ياوس بما يطلق عليه Reform der Geisteswissenschaften"[4] أى إصلاح أو إعادة تشكيل العلوم الإنسانية. ويعد فولفجانج إيزر Wolfgang Iser إلى جانب ياوس واحد من أهم المنظريين للتلقى. والملاحظ أن لكل من العالمين اتجاهه الخاص "فعلى الرغم من أنهما قد اهتما بإعادة تشكيل النظرية الأدبية عن طريق صرف الأنظار عن المؤلف والنص وتركيزهما مرة أخرى على علاقة النص / القارىء فإن مناهجهما الخاصة فى

معالجة هذه النقلة قد اختلفت اختلافاً حاداً. فعلى حين تحرك ياوس أستاذ اللغات الرومانية بصفة مبدئية نحو نظرية التلقى من خلال اهتمامه بتاريخ الأدب برز إيزر أستاذ الأدب الإنجليزى فى مجال التوجهات التفسيرية فى النقد الجديد ونظرية القص... فإذا عنَّ للمرء أن يرى فى ياوس باحثاً في عالم التلقى الأكبر فإن إيزر يبدو مشتغلا بعالم التأثير(Wirkung) الأصغر"[5].

والناظر إلى جهود النقاد والبلاغيين العرب يجدهم قد اهتموا بظاهرة التلقى وإن لم يقدموا لها نظرية باسمها تضم ملامح التلقى، فعلى أساسها فسر ابن قتيبة وجود المقدمة الطللية حين قال " ليميل القلوب ويصرف إليه الوجوه، وليستدعى إصغاء السامعين"[6].

وكذلك عندما بدأ الآمدى فى الموازنة بين الطائيين بدأ بإيراد احتجاجات أنصارهما[7]، فكان المتلقى عنده أساسا من أسس عملية الموازنة، ونبه الإمام عبد القاهر إلى ما يقوم به المبدع من إخفاء للمعنى ليبحث عنه المتلقى ويسير وراءه. يقول: "ولم أزل منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء فى معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفى بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعضَ ذلك كالرمز والإيماء والإشارة فى خفاء، وبعضَه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه، فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها..."[8] والشواهد من التراث على ذلك كثيرة جدا، وهى تشكل محاولات لتنظير التلقى من منطلق التعامل مع النصوص بالفطرة اللغوية العربية، والتى فطر الله العرب عليها التى عدت أساساً عند عبد القاهر الجرجانى لإدراك البلاغة حين عقد فصلا عنوانه "إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس"[9]، فهو إذا يلغى أى تصور تقعيدى سابق لأى ظاهرة قبل النظر فيها.

تعددت الرؤى قديما وحديثا فى طريقة التعامل مع النصوص الأدبية وتحليلها؛ فهناك من يلقى الضوء على عصر المؤلف وظروفه الاجتماعية والسياسية والفكرية والأدبية وارتباط ذلك بإنتاجه الإبداعى، وهناك من تناول حياة الكاتب النفسية وأثرها على النصوص مستوحيا نظريات علم النفس، وهناك من انتهج نهج الدراسة الفنية من خلال استبيان خصائص الأسلوب وطرق التعبير والأدوات البلاغية والمحسنات البلاغية وغيرها، وهناك من يقارن أسلوب الكاتب بأسلوب غيره من الكتاب، وهناك من بحث البنية الهيكلية للنصوص للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها فيما يعرف بالبنيوية التى أفرزت نتائج جيدة فى مجال القصة والرواية، وإن لم تكن نتائجها كما هو مرجو منها فى الأجناس الأدبية الأخرى ذلك أنها لم تنتبه إلى الإمكانات اللغوية فى النص التى تصنع جماليته؛ فالأسباب التى تعطى العمل الأدبى قيمة "لا تقاس بوجود هذه التقنية الفنية أو تلك ولا بغيابهما عنه، إنها تعود إلى أسباب لم يستطع علم الجمال البنيوى الإحاطة بها، ولقد حث قصور المنهج البنيوى الدارسين على تجديد طرقهم فى النقد الأدبى. وصار هذا التجديد ممكنا عندما خرجت الدراسات الألسنية من الميدان الذى كان مؤسسوها قد

رسموه لها فأشرفت على آفاق جديدة"[10].

كان لظهور مفهوم التداولية وتمكنه فى الدراسات الألسنية الحديثة أثر كبير فى الاهتمام بمسألة التلقى بجانب قضايا أخرى كالعدول...؛ إذ إن أحد اهتمامات التداولية التأثير والتأثر فى قلب الخطاب، ودور العناصر اللغوية فى إحداث التأثير فى المتلقى مع الأخذ فى الاعتبار الثنائى الذى يشكله الشخص المتكلم والشخص الذى يوجه إليه كلامه.

يعد النص القرآنى أرقى الأشكال اللغوية وأكثرها تأثيرا فى المتلقي؛ فهو يراعى مشاركة المتلقى واستدعاء استجابته التى كثيرا ما كان يرصدها المفسرون مراعين رصد أثر العناصر اللغوية فى أداء تلك المهمة. وقد كان الألوسى من أكثر المفسرين اهتماما بهذه المسألة؛ فكثيرا ما كان يعالج الظواهر اللغوية من منطلق التلقى، وليس هذا فحسب بل عالج مسألة المناسبة بين الآيات من منطلق التلقى إذ يَفْتَرِضُ من المتلقى عند سماع صدر الآية سؤالا تكون نهاية الآية هى الإجابة عنه، وهكذا تكون حركة المتلقى الفطن مع النص يثير فيه النص رغبة فى المعرفة فيطرح سؤالا ثم يتلقى إجابة هذا السؤال عند ذلك يتمكن المعنى فى نفسه أفضل تمكن، وهو يرصد كافة أشكال التأثير فى المتلقى من تأثير عاطفى وحجاجى إقناعى عقلى وغيرها من المسائل التى تتعلق بالتلقى التى تظهر من خلال تفسيره.

لا يخفى أن كل تفسير هو قراءة جديدة للقرآن الكريم[11] تحاول أن تقف على معانيه، وهى فى حد ذاتها قراءة منتجة إذا ما استدركت شيئا لم تنبه إليه القراءات السابقة عليها، خاصة حينما يمتلك المفسر خلفية ثقافية كبيرة تلقى بظلالها عليه عند قراءة النص. وقد كان للألوسى قراءة متميزة للنص القرآنى إذ جمع فى قراءته كل ما تلقاه عن العلماء من مختلف التوجهات الفكرية؛ فقد كان يجمع بين التفسير باللغة والبلاغة والرواية وغيرها كما كان يفسره ــ فى كثير من الأحيان ــ وفق الخلفية الصوفية بتفسيرها الإشارى الذى يستلهم الرموز الصوفية، ورغم ما قيل عن صحة هذا التفسير شرعيا[12]، فإنه يعد قراءة خاصة للنص القرآنى من خلال اعتبار أن النص به رموز وإشارات متصلة تستدعى القراءة المتأملة المؤولة، ولعل هذا من عمل القارئ المؤول. وليس معنى ذلك سيطرة التفسير الإشارى على التفسير كله؛ فهناك القراءة التى تعتمد على السياق التى تنافى فى أساسها التفسير الإشارى، فالتأويل فى كثير من الأحيان ــ والتفسير الإشارى بشكل خاص ــ يظهر عند انتزاع النص من سياقه.ومن الغريب أنه كان يجمع بين هذه القراءات وكأنه لا يرى أنها متناقضة وإنما يراها متكاملة.

كثيرا ما يقف النقاد فى العصر الحديث موقف المقارنة بين نظرتين للتلقى: نظرة البلاغيين القدماء ونظرة علماء الأسلوب. فالقدماء كان لهم اهتمام خاص بالمتلقى الذى يعنى عندهم السامع والمخاطب. أما القارئ فلم يكن واردا لديهم. والنظرة الحديثة التى تقوم على علاقة مزدوجة بين القارئ والنص علاقة جدلية تتحرك من النص إلى المتلقى كما تتحرك من المتلقى إلى النص، وصارت هذه العلاقة أساسا من أسس الدرس الأسلوبى المعاصر وهذه العلاقة المزدوجة لم يكن لها وجود فى الدرس القديم، فالمتلقى للعمل الأدبى كان مستهلكا أكثر منه منتجا،

فهو يتقبله ويبدى تأثره بظواهره التعبيرية دون أن يحاول إعادة تركيبه أو تحميله من المضامين ما يتفق ورؤيته أو تفكيره وثقافته. فموقف المتلقى سلبى إلى حد ما ينحصر فى جانبى الاقتناع والاستمتاع دون الأخذ فى الاعتبار إعادة صياغة النص صياغة جديدة[13]، ولا يخفى أن هذه النظرة الحديثة تتميز بالاتساع الفضفاض الذى قد لا يحتاجه تحليل النص؛ فالمعول عليه فى هذا الأمر هو حاجة النص نفسه؛ فالنص هو الذى يحدد طريقة تحليله ومقاربته بغض النظر عن التصورات النقدية المسبقة، كما أن الانغمار فى تطبيق النظريات يجب ألا ينسى الباحث الطبيعة الخاصة بالنص العربى بصفة عامة والنص القرآنى بصفة خاصة، فالباحث مدعو إلى إعادة النظر فى المقولات النظرية وعدم الأخذ الحرفى بها.

فى ضوء ما سبق يحاول الباحث استبيان جهود الألوسى فى مجال التلقى التى تعد محددات تنظيرية لرؤيته فى هذه القضية من خلال مقاربته للنص القرآنى.

أولا: النص

أنماط تأثير النص فى المتلقى ودور الظواهر اللغوية والبلاغية فى ذلك

يحلل الألوسى الكثير من الظواهر اللغوية والبلاغية فى ضوء فكرة التلقى واضعا فكرة التأثير فى المتلقى نصب عينيه ورصد أشكال هذا التأثير من تأثير عاطفى كإثارة الرجاء والتشويق والترهيب والترغيب... وغيرها فى نفس المتلقى وتأثير معرفى عقلى بإقناعه وحجاجى بدفع حججه وإبطال مزاعمه. ونأخذ مثالا على هذا وهو العدول.

فظاهرة مثل العدول يحللها فى ضوء التلقى فالعدول عن "الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع"[14] فالعدول كإجراء لغوى بلاغى يستخدم لإبراز الاهتمام بالقضية المطروحة كما بين يحرك رغبة السامع فى الاهتمام بالنص باعتبار أن التلقى يحمل فى إحدى جوانبه نشاطا عاطفيا يتمثل أحيانا فى تشوق المتلقى أو حبه لقضية ما أو كرهه لها ولا شك أن هذا الجانب جزء مهم فى شخصية الإنسان يراعيها النص القرآنى، ويمكن القول أيضا أن المبدأ الذى طرحه الألوسى يمثل بيانا للعلاقة بين قضيتين أسلوبيتين مختلفتين هما العدول والتلقى إذ اعتبر التلقى الحسن هدفا للعدول ونتيجة له.

وإذا كان الكلام السابق يحمل شكلا من أشكال العمومية التقعيدية فإنه لم يأت من فراغ وإنما استنتجه من رصد حركة الخطاب فى قوله تعالى "قُل أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول فَإِنْ تَوَلَوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّل وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ". فقوله تعالى: (فإن توليتم) "خطاب للمنافقين الذين أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ما سمعت وارد من قبله عز وجل غير داخل فى حيز "قُل" وفيه تأكيد للأمر السابق والمبالغة فى إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترتيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبىء عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع"[15].

ومن هذا القبيل تتبعه لحركة الإخبار فى الآيات قبل قوله تعالى: "يأيها الناس اعبدوا ربكم"[16]، ثم تحوله إلى الخطاب فى هذه الآية بعد أن بين سبحانه فرق المكلفين وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين، وقال فى الطائفة الأولى: {الذين يُؤْمِنُونَ}[17] وفى الثانية: {سَوَاء عَلَيْهِمْ}[18] وفى الثالثة: {يخادعون الله}[19] وشرح ما ترجع إليه أحوالهم دنيا وأخرى فقال سبحانه فى الأولى: {أولئك على هُدًى مّن رَّبّهِمْ وأولئك هُمُ المفلحون}[20] وفى الثانية: {خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}[21] وفى الثالثة: {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزادهم الله مرضا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}[22] أقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم إلى الإصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقى وجبراً لما فى العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة"[23].

ويحلل الألوسى ظاهرة التقديم والتأخير فى ضوء النشاط العاطفى للمتلقى والمتمثل فيما يقوم به النص من بث الإحساس بوجود منفعة للمتلقى عليه أن ينتظرها. عند ذلك تبقى نفسه مترقبة للمؤخر على اعتبار أن به منفعة، وعندما تحصل النفس على مرادها يتمكن المعنى الوارد بها في نفسه؛ ففى قوله تعالى:"وجعلنا لكم فيها معايش"[24] يقول "وتقديمهما ــ يقصد لكم فيها ــ على المفعول مع أن حقهما التأخير عنه كما قال بعض المحققين للاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر؛ فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئاً عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن، وأما تقديم اللام على فى فلما أنه المنبىء عما ذكر من المنفعة والاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم"[25].

وبناءا على هذه الرؤية حلل الألوسى كثيرا من مواطن التقديم والتأخير فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى" الذِى جَعَل لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[26] يقول الألوسى " وتقديم المفعول الغير الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين أو للتشويق إلى ما يأتى بعده لاسيما بعد الإشعار بمنفعته فيتمكن عند وروده فضل تمكن"[27].

ويورد الألوسى هدفا آخر للعدول فى ضوء التلقى ــ غير التهيئة الوجدانية للمتلقى ــ هى التهيئة المعرفية العقلية وجذب الانتباه وعبر عنه بقوله "العدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع"[28]، وهذا مهم جدا إذ لا يتلقى الإنسان كل الرسائل بطريقة نمطية واحدة، فمثلا عند استقبال خبر معين قد يكون عنده كمثل المعلومة المألوفة إذا لم يوجه النص المتلقى إلى الاهتمام به. وهنا لا تأخذ الرسالة موطن الاهتمام فيصبح اختزانه فى ذهنه قابلا للمحو والنسيان، ولكن عندما يلفت النص انتباه المتلقى إلى خطورة ما يلقى إليه فإنه يأخذه إلى موطن الاهتمام فى ذهنه وقد تثير فيه الرضا أو السخط أو التسليم أو الاعتراض، فالتلقى فى هذه الحالة يحمل جانبا عقليا من جوانب الشخصية الإنسانية وتقوم الظواهر اللغوية والبلاغية بدورها فى تحريك هذا الجانب، ومن أمثلة هذا الجانب العدول عن استخدام اسم الفاعل إلى استخدام المضارع لأجل استحضار الصورة فى ذهن

المتلقي؛ ففى قوله تعالى "إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَى مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَى ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"[29] يقول الألوسى " كان الأصل أن يؤتى بصيغة اسم الفاعل أسوة أمثاله فى الآية إلا أنه عدل عن ذلك إلى المضارع فى هذا الوصف وحده إرادة لتصوير إخراج الحى من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وذلك إنما يتأتى بالمضارع دون اسم الفاعل والماضى"[30].

ومن الأنشطة العقلية التى تثيرها الظواهر البلاغية واللغوية فى المتلقى التأويل باستنتاج المتلقى المحذوف من النص، أو استنتاج المعانى غير الصريحة فى النص والكامنة خلف البناء اللغوى الظاهرى للنص، والتأويل فى اللغة من الفعل "أول" (أول) الأوْلُ الرجوع آل الشيءُ يَؤُول أولاً ومآلاً رَجَع وأوَّل إليه الشيءَ رَجَعَه وألتُ عن الشيء ارتددت"[31]، فالتأويل على هذا إرجاع النص أو الرسالة اللغوية إلى دائرة المعنى الصريح وقد خرجت عنه لدواع لم يكن المتلقى قد وقف عليها عند استقبالها لأول مرة.

والحذف عنده مبنى على الثقة فى قدرة السامع على تأويل المحذوف. وهو بذلك يؤكد على دور المتلقى فى استنتاج الدلالة عندما يعايش النص ويتمثله، والدلالة عنده ــ عادة ــ ليست نهائية وخاصة فى المواضع التى يراد بها التعجيب والتهويل؛ ففى فضل حذف الخبر فى قوله تعالى"الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل"[32]يقول الألوسى "وإنما حذف ــ أى الخبر ــ لتذهب نفس السامع كل مذهب"[33]، فهو يرى أنه لو ذكر الخبر لتحدد المعنى عند المتلقى، وترك الذكر يفتح آفاقا جديدة للحكم على الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بأن يقال مثلا " مبغوضون أو أحقاء بكل ملامة ونحو ذلك"[34]، وذلك توضيح لقوله "لتذهب نفس السامع كل مذهب".

وبالمبدأ نفسه يفسر الحذف فى قوله تعالى"ولو ترى إذ وقفوا على النار" إذ يقول "لو شرطية على أصلها وجوابها محذوف لتذهب نفس السامع كل مذهب؛ فيكون أدخل فى التهويل"[35]، وهذه الطريقة التى يتبعها النص وسيلة ناجحة فى جعل المتلقى أكثر إيجابية فى التفاعل مع النص.

والنص يدعو المتلقى إلى القيام بالعديد من الأنشطة التى تساعده فى عملية التأويل لاستنتاج إيحاءات النص ومضامينه الخفية ومنها الاسترجاع؛ فالمتلقى يسترجع مضامين لها علاقة بالنص، وصاحب النص على ثقة بأن المتلقى لديه هذه القدرة على استرجاع تلك المضامين المشابهة للنص، وهذه الثقة التى ذكرها المفسر عبر عنها التداوليون بمصطلح الافتراض المسبق إذ إنه "فى أى تواصل لسانى ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها"[36]، ولا شك أن هذه المعطيات هى التى تشكل الثقة لدى المتكلم تجاه المتلقى.

وعلى ذلك يوجه الألوسى ترك التفصيل إلى الثقة فى فهم السامع وقدرته على رد الكلام إلى أصله الذى اعتاد عليه السامع وشكل خلفية ثقافية لديه تحرك فهمه للنص؛ ففى قوله تعالى "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى"[37] يقول الألوسى "والضمير لأهل الكتاب لا لكثير منهم ــ كما يتبادر من

العطف والمراد بهم اليهود والنصارى، وكأن أصل الكلام قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين هذين المقولين، وجعلا مقولاً واحداً اختصاراً وثقة بفهم السامع أن ليس المقصد أن كل واحد من الفريقين يقول هذا القول المردد"[38].

ويقترب من رؤية الألوسى رؤية المحدثين من علماء اللسانيات حين يرون أن "الحصيلة الدلالية للملفوظ هى جماع الدلالة اللسانية للملفوظ ذاته وبعض المعارف المشتركة بين المخاطبين"[39] ورؤية الألوسى أدق إذ فى التطبيق العملى للنصوص عادة لا تكون الدلالة الأصلية للملفوظ هى المطلوبة عندئذ لا تكون جزءا من الجماع المذكور سابقا، وعلى ذلك يمكن القول إن رؤية الألوسى لا تقتضى الجمع بقدر ما تقتضى التفاعل الذى قد يبقى المعنى البدائى الحرفى كدلالة نهائية للملفوظ أو تنحو به منحى آخر يتضمن دلالة ضمنية يستنتجها المتلقي.

ويشير الألوسى إلى دور دلالة الاستلزام فى التأويل وهو أحد أنواع الافتراضات المسبقة، وذلك فى تفسيره لقوله تعالى "وأتموا الحج والعمرة لله"[40] يقول " أى اجعلوهما تامين إذا تصديتم لأدائهما لوجه الله تعالى فلا دلالة فى الآية على أكثر من وجوب الإتمام بعد الشروع فيهما وهو متفق عليه بين الحنفية والشافعية رضى الله تعالى عنهم، فإن إفساد الحج والعمرة مطلقاً يوجب المضى فى بقية الأفعال والقضاء، ولا تدل على وجوب الأصل، والقول بالدلالة بناءاً على أن الأمر بالإتمام مطلقاً يستلزم الأمر بالأداء لما تقرر من أن ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب ليس بشيء لأن الأمر بالإتمام يقتضى سابقية الشروع فيكون الأمر بالإتمام مقيداً بالشروع"[41].

أشار الألوسى إلى مفهوم الاستلزام بأنه معنى لا يفهم من الدلالة الصريحة للفظ[42] وإنما من سياق الحديث ويظهر ذلك فى تفسيره لقول الله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا"[43] يقول "{إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ}[44] أى على ما يؤدى إليه مذهبهم وتقتضيه آراؤهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبىء عنه قوله تعالى: {وَيُرِيدُونَ أن يُفَرّقُواْ بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ}[45] فى الإيمان بأن يؤمنوا به عز وجل ويكفروا برسله عليهم الصلاة والسلام، لكن لا يصرحون بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة، بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ"[46] أى نؤمن ببعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونكفر ببعضهم كما فعل أهل الكتاب، وما ذلك إلا كفر بالله تعالى وتفريق بين الله تعالى ورسله، لأنه عز وجل قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما من نبى إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضاً"[47].

أشارت الدراسات التداولية إلى ما يسمى بالأقوال المضمرة "وهى ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه إذ المعلومات التى يتضمنها الخطاب تبقى رهن خصوصيات سياق الحديث، إذا فهى تعود لأسباب مقامية"[48]، وقد أشار الألوسى إلى الفكرة نفسها وعبر عنها بالفحوى. ومن العجيب أن يشترط الألوسى للقول

بالفحوى "معونة المقام"[49]. وكذلك استنتج أن تؤيد الفحوى بأدوات أخرى غير المقام مثل العناصر السياقية الداخلية مثل الجملة الاعتراضية التى يؤتى بها "لتأكيد فحوى ما تقدمها"[50] ومن الوسائل التى ذكرها الألوسى لاستبيان المعانى المضمرة القياس بالاقتضاء. ففى قوله تعالى " فَلا تَقُل لهُمَا أُفٍّ"[51] يقول: "والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً جلياً لأنه يفهم بطريق الأولى ويسمى مفهوم الموافقة ودلالة النص وفحوى الخطاب، وقيل يدل على ذلك حقيقة ومنطوقاً فى عرف اللغة كقولك: فلان لا يملك النقير والقطمير فإنه يدل كذلك على أنه لا يملك شيئاً قليلاً أو كثيراً"[52].

وإذا كان النص قد وكل إلى المتلقى تأويل المحذوف مما يتيح له دورا فى استنتاج الدلالة فإنه أيضا قد يعمد إلى استخدام المفردات ذات المعانى العامة، ويرجع الألوسى تفضيلها إلى التأثير فى المتلقى، إذ تحديد معنى خاص يحدد مجال التأثر بهذا المعنى، أما استخدام الكلمات التى تحمل معانى عامة فيكون له أثر أعظم فلا تقف نفس السامع عند معنى معين وهذا يتيح للمتلقى مجالا دلاليا أوسع فى استنتاج الدلالات المختلفة، وإلى ذلك يشير الألوسى فى حديثه عن سبب تفضيل التعبير بـ "يوم الدين" على التعبير بـ"يوم القيامة" فى سورة الفاتحة يقول "وإنما قال: "مالك يوم الدين" ولم يقل: "يوم القيامة" مراعاة للفاصلة وترجيحا للعموم؛ فإن الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أن يوم القيامة لا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين ولا يخلو اعتباره عن لطف، وأيضاً للدين معان شاع استعماله فيها كالطاعة والشريعة فتذهب نفس السامع إلى كل مذهب سائغ"[53].

وللكلمات التى تحمل دوالا عامة فوائد أخرى تخص الحالة النفسية للمتلقى، فقد يكون فى التصريح مدعاة لخجل المتلقى، وهو ما قد يجعله عازفا عن تلقى النص؛ ففى قول الله تعالى "يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إلا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"[54] يقول الألوسى: "إنما ذكر وأسند المجيء إليه دون المخاطبين تفادياً عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحى منه أو يستهجن التصريح به والفعل عطف على {كُنتُمْ}"[55].

ويصف الألوسى ما يقع فى نفس السامع وصفا دقيقا عندما يتدرج النص من التأكيد على حدوث المنفعة ثم وقوع المنفعة نفسها؛ إذ يتوالى السرور عليه مرتين كأن يبدأ النص بالوعد ثم بإنجاز الوعد كما فى قوله تعالى "فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك"[56] يقول الألوسى "وجاء هذا الوعد مع إضمار القسم مبالغة فى وقوعه لأنه يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها، وجاء قبل الأمر لفرح النفس بالإجابة ثم بإنجاز الوعد؛ فيتوالى السرور مرتين"[57].

ويشير الألوسى إلى دور بعض الظواهر اللغوية فى النص فى تهيئة المتلقى لاستقبال ما كان يترقبه وإعلامه للاستعداد له، ومن ذلك توجيهه لتكرار قوله تعالى

"ما أصحاب اليمين"[58] بقوله"ولعلها عليه أنه لما عقب الأولين بما يشعر بأن لأحوال كل تفاصيل مترقبة أعيد ذلك للإعلام بأن الأحوال العجيبة هى هذه فلتسمع"[59].

ويشير أيضا إلى دور الاستفهام فى تنبيه المتلقى على خطورة ما سيأتى من أمور عليه أن يترقبها، ومن ذلك الدور الذى يقوم به الخطاب والاستفهام فى قوله تعالى "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القردة والخنازير"[60]من استدعاء إقبال المتلقين "على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به، والتنبئة المشعرة بكونه أمرا خطرا لما أن النبأ هو الخبر الذى له شأن وخبر"[61].

ويسلك النص القرآنى طرقا كثيرة لإقناع[62] المتلقى مستخدما فيها العديد من الوسائل اللغوية تنبه إليها الألوسى فى تفسيره فالنص القرآنى يحمل خطابا منظما يقوّم فى المتلقى سلوكياته ومواقفه الدينية والدنيوية؛ فهو يدفعه إلى تبنى موقف أو التخلى عن موقف آخر حتى وإن لم يكن الخطاب موجها بشكل مباشر إلى المتلقى فإن المتلقى الفطن عليه أن يستنتج النداء الكامن فى النص الذى به صلاح أمره وتلك الوسائل الإقناعية تمثل "قوة ضاغطة على المتلقى وتتمثل فى عملية الإقناع بوسائلها العقلية التى من خلالها يسلم المتلقى قياده للفكرة الموجهة إليه، كما تتمثل فيها عملية الإمتاع التى تلون الكلام بكثير من المواصفات العاطفية الوجدانية بحيث تكون هناك مزاوجة بين الجانب الإقناعى والجانب الإمتاعى"[63].

فمن طرق الإقناع فى القرآن الكريم: ترتيب المعانى بما يكون كفيلا بترتيب ذهن المتلقى المفضى إلى إقناعه وثبوت مضمون الرسالة فى ذهنه، فمن ذلك تقديم المبهم على المعلوم الذى يفسره كما فى قوله تعالى "وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ"[64]؛"فهو ضمير مبهم يفسره البدل فهو راجع إليه لا إلى شيء متقدم مفهوم من الفعل، والتفسير بعد الإبهام ليكون أوقع فى نفس السامع، ويستقر فى ذهنه كونه محكوماً عليه بذلك الحكم"[65].

ويدرك الألوسى أن من عوامل إقناع المتلقى الترتيب بداية مما يتعقله المتلقى، ثم يتبعه بما يستغربه كما فى قوله تعالى "فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض"[66]، يقول الألوسى "بدأ بما يتعقله السامع أولا وهو كينونة الشئ فى صخرة وهو ما صلب من الحجر وعسر الإخراج منه ثم أتبعه بالعالم العلوى وهو أغرب للسامع ثم أتبعه بما يكون مقر الأشياء للشاهد وهو الأرض"[67].

ومنه أيضا تعليقه على التسلسل فى الآيات من قوله تعالى" فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ"[68] حتى قوله تعالى " فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"[69]إذ يقول "إن ترتيب هذا الحكم ونظيريه على الأفول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلاً منهما وإن كان فى نفسه انتقالاً منافياً لاستحقاق معروضه للربوبية قطعاً لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور الآثار والأحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق فى الجملة رتب

عليه الحكم الأول أعنى { هذا رَبّى } على الطريق المذكورة، وحيث كان الثانى حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب"[70].

ومن أساليب الإقناع فى القرآن الكريم التى تنبه لها الألوسى التنبيه على التناقض بين ما يدعيه المخاطب وسلوكه يقول " { قُل فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنبيَاء الله مِن قَبْلُ} أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك تبكيتاً لهم حيث قتلوا الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة وهى لا تسوّغه، ويحتمل أن يكون أمراً لمن يريد جدالهم كائناً من كان"[71].

ومن الإشارات على تناقض المخاطب المنكر أيضا قوله تعالى " إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا"[72] يقول الألوسى " إن كلامهم قد تناقض لإضرابهم وتحيرهم فإن الاستفهام السابق دال على الاستحقار وهذا دال على قوة حجته وكمال عقله صلى الله عليه وسلم ففيما حكاه سبحانه عنهم تحميق لهم وتجهيل لاستهزائهم بما استعظموه"[73].

ومن تلك الأساليب أيضا تعجيز المخاطب عن الإتيان بدليل على ما يعتقد حينئذ يكون لزاما عليه تصديق الرسالة، ففى قوله تعالى "قُل أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَاوَاتِ ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[74] يقول "{ ائتونى بكتاب } إلى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلى فهو من جملة القول أى ائتونى بكتاب إلهى كائن { مّن قَبْلِ هذا } الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم { أَوْ أثارة مّنْ عِلْمٍ } أى بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم العبادة"[75].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللهِ قُل هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[76] يقول الألوسى: "وقوله تعالى: { قُلْ هَاتُواْ برهانكم } أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم إثر تبكيت أى هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه عز وجل إلهاً، وقيل: أى هاتوا برهاناً على أن غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله عز وجل، وتعقب بأن المشركين لا يدعون ذلك صريحاً ولا يلتزمون كونه من لوازم الألوهية وإن كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له، وفى إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من إيهام أن لهم برهاناً وأنى لهم ذلك، وقيل: إن الإضافة لزيادة التبكيت كأنه قيل: نحن نقنع منكم بما تعدونه أنتم أيها الخصوم برهاناً يدل على ذلك وإن لم نعده نحن ولا أحد من ذوى العقول كذلك، مع هذا أنتم عاجزون عن الإتيان به { إِن كُنتُمْ صادقين } أى فى تلك الدعوى، واستدل به على أن الدعوى لا تقبل ما لم تنور بالبرهان"[77].

والقريب من ذلك التنبيه على فساد أسباب اقتناع المتلقى بالفكرة المضادة للرسالة المطروحة، وفى ذلك قطع الطرق عليه لتبرير مواقفه، ومن ذلك قوله تعالى " مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ

سُلطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلا للهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"[78] يقول الألوسى "وجوز أن يكون سرد هذه الجمل على هذا الطرز لسدّ الطرق فى توجيه صحة عبادة الأصنام عليهم أحكم سدّ فإنهم إن قالوا: إن الله تعالى قد أنزل حجة فى ذلك ردوا بقوله: { ما أنزل الله بها من سلطان } وإن قالوا: حكم لنا بذلك كبراؤنا ردوا بقوله: { إن الحكم إلا لله } وإن قالوا: حيث لم ينزل حجة فى ذلك ولم يكن حكم لغيره بقى الأمر موقوفاً إذ عدم إنزال حجة تدل على الصحة لا يستلزم إنزال حجة على البطلان ردوا بقوله: { أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه }"[79].

ومن وسائل الإقناع أيضا بيان سبب تمسك المنكرين بالحجج الواهية وانصرافهم عن البحث فى صحة هذه الحجج. وفى ذلك يقول الألوسى "{مَا أَرْسَلنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا على أُمَّةٍ وَإِنَّا على ءاثارهم مُّقْتَدُونَ}[80] استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم لأسلافهم وأن متقدميهم أيضاً لم يكن لهم سند منظور إليه وتخصيص المترفين بتلك المقالة للإيذان بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد"[81].

وقد يتخذ النص القرآنى من التعريض وسيلة لبيان فساد اعتقاد المنكرين، ويبين الألوسى فائدة التعريض دون التصريح فى هذا المقام بأن التصريح قد يحمل الإنسان على المكابرة والعناد أما التعريض يعيد الإنسان إلى نفسه حينها قد يستنتج خطأه وكون العيب من جهته، فيقول الألوسى: "{ قُل هَل أُنَبّئُكُمْ بِشَرّ مّن ذلك } تبكيت لأولئك الفجرة أيضاً ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ماهم عليه من الدين المحرف، وفيه نعى عليهم على سبيل التعريض بجناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها، ولم يصرح سبحانه لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد، وخاطبهم قبل البيان بما ينبىء عن عظم شأن المبين، ويستدعى إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به، والتنبئة المشعرة بكونه أمراً خطراً لما أن النبأ هو الخبر الذى له شأن وخطر، والإشارة إلى الدين المتقوم لهم، واعتبرت الشرّية بالنسبة إليه مع أنه خير محض منزه عن شائبة الشرّية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شرّيته، وحاشاه ليثبت أن دينهم شر من كل شر، ولم يقل سبحانه بأنقم تنصيصاً على مناط الشرية لأن مجرد النقم لا يفيدها ألبتة لجواز كون العيب من جهة العائب"[82].

ومن طرق الإقناع فى القرآن الكريم التى تنبه إليها الألوسى ما يسميه نقاد اللسانيات بقياس الخلف. وهو "إثبات الأمر ببطلان نقيضه"[83]. ويعبر الألوسى عن هذا المعنى بعبارة دقيقة حين يقول " قُل لوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلى ذِي العَرْشِ سَبِيلا.... إشارة إلى برهان التمانع كقوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا}[84] وذلك بتصوير قياس استثنائى استثنى فيه نقيض التالى لينتج نقيض المقدم المطلوب"[85].

ويشير الألوسى إلى دور استخدام أدوات التأكيد فى ذلك وتوظيفها حسب ما يحتاجه إقناع المتلقى. فالأمور المبهمة للمتلقى عادة ما تحتاج إلى التأكيد أكثر من الأمور المعلومة لديه ويشاهد آثارها. ومثال ذلك قوله تعالى: "ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين"[86] يقول الألوسى "التأكيد بأن واللام لما أن

الأمور الأخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التى تشاهد آثارها"[87].

ويشير الألوسى وسيلة إقناعية يستخدمها النص القرآنى فى إقناع المتلقى، وهى إعادة توجيه المتلقى إلى ما فيه صلاح له. ففى قوله تعالى "يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج"[88] يذكر الألوسى أن من احتمالات توجيه الآية كونها من أسلوب الحكيم "ويسمى أيضا القول الموجب وهو تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله.. فيكون فى الجواب إشارة إلى أن الأولى على تقدير وقوع السؤال أن يسألوا عن الحكمة لا عن السبب لأنه يتعلق به صلاح معاشهم ومعادهم"[89].

أشار الألوسى إلى بعض مراحل الإقناع، فمنها كما سبق الإشارة إليه التنبيه على أهمية الرسالة للمتلقى، ومنها أيضا التنبيه على النفع الذى تحمله الرسالة للمتلقى وبعد اقتناع المتلقى بالحجج المقدمة يوجهه النص إلى أنه لم تعد هناك أعذار له فيحذره من تضييع الرسالة. ومثال ذلك "إعادة الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الإنكارى مع الجملة الاسمية مرتبا على ما تقدم من أصناف الصوارف، فقال جل شأنه:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ}[90] إيذاناً بأن الأمر فى الردع والمنع قد بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية حتى إن العاقل إذا خلى ونفسه بعد ذلك لا ينبغى أن يتوقف فى الانتهاء"[91].

ومن ذلك توجيهه للاستفهام فى قوله تعالى: " فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ"[92] يقول: "{ءَأَسْلَمْتُمْ} متبعين لى كما فعل المؤمنون فإنه قد جاءكم من الآيات ما يوجبه ويقتضيه أم أنتم على كفركم بآيات الله تعالى وإصراركم على العناد- وهذا كما تقول إذا لخصت لسائل مسألة ولم تدع من طرق البيان مسلكاً إلا سلكته – فهل فهمتها؟ على طرز {فهل أنتم منتهون}[93] إثر تفصيل الصوارف عن تعاطى ما حرم تعاطيه"[94].

وقريب من ذلك التنبيه على زوال المانع من الاقتناع وقيام الموجب للتصديق، إذ بعد زوال المانع يجب على المتلقى المنكر الإسراع بالإذعان عند ذلك يأتى دور العناصر اللغوية الدالة على السرعة مثل الفاء المقترنة بهل الاستفهامية كما فى تفسير قوله تعالى "فهل أنتم مسلمون" يقول الألوسى "أى داخلون فى الإسلام إذ لم يبق بعد شائبة شبهة فى حقيته وفى بطلان ما أنتم فيه من الشرك، فيدخل فيه الإذعان بكون القرآن من عند الله تعالى دخولاً أولياً، أو منقادون للحق الذى هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون ما أنتم عليه من المكابرة والعناد، وفى هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال المانع، ولهذا جيء بالفاء، وفى التعبير بـ"مسلمون" دون "تسلمون" تأييد لما يقتضيه ترتيب ما ذكر على ما قبل بها من وجوبه بلا مهلة"[95].

ضبط الاستقبال:

أشار الألوسى كثيرا إلى دور الظواهر اللغوية البلاغية فى دفع توهم المتلقى

مما يعيد المتلقي على الطريق الصحيح للفهم، فالبدل فى قوله تعالى " قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[96] فائدته "دفع التوهم الناشئ من ذكر الإله مرتين"[97]، فعندما يستمع المتلقى إلى مقدمة الآية فإنه قد يتوهم أن إله يعقوب غير إله آبائه وذكر البدل (إلها واحدا) دفع هذا التوهم.

و"لكن" فى قوله تعالى "لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالين فيها هى "للاستدراك وهو رفع توهم ناشئ من السابق وعند علماء المعانى لقصر القلب ورد اعتقاد المخاطب، وتوجيه الآية.. أنه لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى التجارة وتصرفهم فى البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هى مقتضية لذلك فاستدرك أن المتقين وإن أخذوا فى التجارة لا يضرهم ذلك وأن لهم ما وعدوا به"[98].

ويرجع الألوسى فائدة الاعتراض إلى دفع توهم المتلقى وضبط مسار تلقيه للنص وهو المفهوم من قوله "وقوله تعالى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة)[99] من كلامه تعالى اعتراض بين القول ومقوله الذى هو (يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)[100] لئلا يتوهم من مطلع كلامه أن تمنيه المعية للنصرة والمظاهرة حسبما يقتضيه ما فى البين من مودة بل للحرص على حطام الدنيا"[101]، ومثال ذلك أيضا تنبيهه على أهمية تقييد الإحياء بالإذن فى قوله تعالى "وأحيى الموتى بإذن الله"[102] وربط ذلك بدفع توهم المتلقى، يقول "وقيد الإحياء بالإذن.. لأنه فعل خارق عظيم يكاد يتوهم منه ألوهية فاعله لأنه ليس من جنس أفعال البشر"[103].

ومن إشاراته إلى دور الاعتراض فى ضبط مسار الفهم عند المتلقى الذى قد يتوجه ــ بدون الاعتراض ــ وجهة لا يريدها النص إشارته إلى دور الاعتراض المتمثل فى قوله تعالى "وكذلك مكنا ليوسف"[104] فهو "اعتراض جئ به أنموذجا للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه عليه السلام من الفتنة التى ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه ــ عليه السلام ــ محسن فى أعماله لم يصدر عنه ما يخل بنزاهته"[105]، وهو بذلك يشير إلى قدرة النص على تحديد مسار توقع السامع وتهيئته تهيئة سليمة لاستقبال النص بشكل صحيح ليحول بذلك بينه وبين الالتباس.

ويرجع الألوسى العدول عن الصيغة الصريحة ــ التى اعتاد المتلقى على استخدامها لأداء معنى معين ــ إلى صيغة أخرى غير صريحة تؤدى المعنى نفسه إلى قدرة الصيغة البديلة على دفع توهم المتلقى الناتج عن احتمال الصيغة الأولى لمعان أخرى لا يقصدها النص ومن ذلك العدول عن صيغة الأمر (زكوا) إلى (وآتوا الزكاة) لئلا يتوهم المتلقى "إن الأمر بتزكية النفس"[106]، ومثال ذلك أيضا إرجاعه عدم الاكتفاء بعطف (ما) على الفاكهة وقدم الخبر (لهم) فى قوله تعالى "لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون"[107] لئلا يتوهم المتلقى كونها عبارة عن توابع الفاكهة ومتمماتها"[108].

ويشير إلى دور الوصف فى دفع توهم المتلقى وقلب المعنى الذى يتوهمه ففى قوله تعالى "انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب"[109] قد يفهم المتلقى أن الظل المذكور هو مزية يتمتع بها الكفار وليست تعريضا واستهزاء بهم ويزيل هذا الوهم

ويعيد توجيه المعنى فى ذهنه الوصف (لا ظليل ولا يغنى من اللهب)[110] فنفى الاحتمال بذلك وفيه تعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين"[111] فقبل الوصف تتعدد الاحتمالات للمعنى فى ذهن المتلقى وبالوصف تتبدد المعانى التى لا توافقه ويبقى فى ذهنه المعنى المطلوب.

ويؤدى الاستثناء دورا فى تخصيص الحكم فى ذهن المتلقى ودفع توهمه بالتعميم أو استواء الحكم على الجميع أو قياسه على أحكام أخرى سابقة تحدد اتجاه المتلقى إلى اتجاه لا يريده النص كما فى قوله تعالى: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات"[112]. يقول فيه الألوسى: "استثناء متصل من ضمير رددناه العائد على الإنسان.. والكلام على معنى الاستدراك كأنه قيل "لكن الذين آمنوا لهم أجر ألخ. وهو لدفع ما يتوهم من أن التساوى فى أرذل العمر يقتضى التساوى فى غيره"[113].

وللسياق دور كبير فى تحديد الدلالة وتبديد الدلالات الأخرى المتوهمة حين ينظر المتلقى إلى السياق وينتبه إلى ما يوافقه من الدلالات، ويشير الألوسى إلى ذلك عند حديثه عن نزول القرآن منجما فيقول "ولذلك فوائد غير ما ذكر أيضاً، منها معرفة الناسخ المتأخر نزوله من المنسوخ المتقدم نزوله المخالف لحكمه ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على معرفة البلاغة لأنه بالنظر إلى الحال يتنبه السامع لما يطابقها ويوافقها إلى غير ذلك"[114]، وتأكيد الألوسى على ما يقوم به السامع من الجمع بين القرائن المقامية والدلالات اللفظية للمقال يقترب إلى حد كبير مما سماه علماء اللسانيات بالنظرية الدلالية ذات المقلاع التى تتلخص فى المخطط التالى:

المعنى الاستلزامى الخاص (المقام)+ صيغة لغوية(المقال) = المعنى المقتضى المنشود[115]، ووفق هذه الرؤية يمكن للمتلقى أن ينتقل من المعنى الحرفى البدائى إلى الدلالة الضمنية للملفوظ وهو انتقال من المكون اللسانى إلى المكون غير اللسانى، وتأكيد الألوسى على ما يتنبه له السامع من المطابقة والموافقة فى العبارة السابقة صاغه علماء التداولية بما يسمى بمبدأ المناسبة، وهو يعنى "أن تأويل الأقوال يقوم على استدلالات تستند إلى السياق وتفضى إلى نتائج"[116].

وفى ضوء تحليلات الألوسى السابقة وغيرها الكثير فى تفسيره يمكن القول أن الألوسى تنبه إلى دور الإجراءات اللغوية والبلاغية التى تقوم بدورها فى إعادة تصحيح مسار الفهم لدى المتلقى[117].

ثانيا : المتلقى

المتلقى وموقعه فى النص:

يتحدث الألوسى عن أهمية اعتبار دور المتلقى، حتى إن النص القرآنى يعمد إلى إبهام بعض الأمور لتوجيه أذهان السامعين نحوها وإنزالهم منزلة المستفهمين كما فى بداية سورة النبأ؛ يقول الألوسى: "(عم يتساءلون عن النبأ العظيم)[118] بيان

لشأن المسئول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين، فإن إيراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شيء يتساءلون هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار}[119] فـ"عن" متعلقةٌ بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه على ما قيل أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال وإلى تعلقه بما ذكر"[120]، ويلاحظ من فحوى هذه الرؤية التى قدمها الألوسى أن النص القرآنى يثير فى التلقى سؤالا تكون الإجابة عنه الآية التالية للآية التى أثارت فى نفسه هذا السؤال ولا يخفى ما فى ذلك من التفاعل الخلاق بين النص ومتلقيه الذى يمثل علاقة جدلية تتحرك من النص إلى المتلقى كما تتحرك من المتلقى إلى النص"[121].

ومن ذلك أيضا حديثه عن مناسبة قوله تعالى "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى"[122] بما قبلها يقول " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى" إشارة إلى المنافقين الذين تقدم ذكرهم الجامعين للأوصاف الذميمة من دعوى الصلاح وهم المفسدون، ونسبة السفه للمؤمنين وهم السفهاء والاستهزاء وهم المستهزأ بهم ولبعد منزلتهم فى الشر وسوء الحال أشار إليهم بما يدل على البعد، والكلام هنا يمكن أن يكون واقعاً موقع "أولئك على هُدًى مّن رَّبّهِمْ"[123] فإن السامع بعد سماع ذكرهم وإجراء تلك الأوصاف عليهم كأنه يسأل: من أين دخل على هؤلاء هذه الهيئات؟ فيجاب بأن أولئك المستبعدين إنما جسروا عليها لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى حتى خسرت صفقتهم وفقدوا الاهتداء للطريق المستقيم ووقعوا فى تيه الحيرة والضلال"[124].

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه ليعتبر النص عبارة عن إجابات لأسئلة أثارها النص من قبل ثم تأخذ شكل الحوار بين النص والمتلقى المفترض الذى عبر عنه بقوله (كأنه قيل). ويظهر ذلك فى تفسير قوله تعالى" ذَلكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى للمُتَّقِينَ"[125] إذ يقول " بالحمل على الاستئناف كأنه سئل ما باله صار معجزاً؟ فأجيب بأنه كامل بلغ أقصى الكمال لفظاً ومعنى وهو معنى "ذلك الكتاب"[126] ثم سئل عن مقتضى الاختصاص بكونه هو الكتاب الكامل فأجيب بأنه لا يحوم حوله ريب ثم لما طولب بالدليل على ذلك استدل بكونه "هُدًى للمُتَّقِينَ"[127] لظهور اشتماله على المنافع الدينية والدنيوية والمصالح المعاشية والمعادية بحيث لا ينكره إلا من كابر نفسه وعاند عقله وحسه "[128].

والشواهد على هذه الفكرة فى تفسير الألوسى كثيرة جدا وقد أدرك المفسر نفسه ذلك فعبر عنها بقوله "ديدن كل معالج لجوج"[129].

ردود أفعال المتلقى:

يصف الألوسى بعض ردود أفعال المتلقى التى يصنعها النص؛ ومنها محاولة المتلقى استباق النهاية المتوقعة للنص فى ضوء المقدمات التى تصدرت النص، والاستباق أحد أوجه النشاط اللغوى التى تظهر غالبا فى الآيات التى تحمل

مضمون القصة، ومثال ذلك قصة موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ فى القرآن الكريم التى بدأت بأوصاف الخضر عليه السلام وبعد سماعها "ظمأت النفس لما يصدر منه فبل غليلها وجعل ما صدر عنه مقصوداً بالإفادة لأنه مطلوب للنفس وهى منتظرة إياه ثم بعد أن سمعت ذلك وسكن أوامها[130] سلك بالكلام مسلكه الأول وقصد بالإفادة حال من سيق الكلام من أوله لشرح حاله"[131]، فالألوسى هنا يشرح ما تحدثه الآيات من إثارة للمتلقى فيبقى المتلقى فى حالة ترقب للاستجابة التى تؤدى إلى ارتياحه.

ومن ذلك تفسيره لقول الله تعالى: "الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[132] متخذا من التوجيه النحوى للآيات منطلقا لبيان حركة المتلقى مع النص ذلك المتلقى الذى يعتد بالتوجيه النحوى الذى اختاره والمفضى إلى هذه الحركة. وفى ذلك يقول: "اللائق أن تكون جملة القول ــ يقصد قولهم "ربنا ما خلقت هذا باطلا" ــ استئنافاً مبيناً لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئاً مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة فى خلق العالم بأولى الألباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر فى مجال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل: فماذا يكون عند تفكرهم فى ذلك وما يترتب عليه من النتيجة؟ فقيل: يقولون كيت وكيت مما ينبىء عن وقوفهم على سر الخلق المؤدى إلى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية وهذا على تقدير كون الموصول موصولاً نعتاً، {لاوْلى}"[133]وعلى هذا فإن التوجيه النحوى عنده يتعدى حدود ضبط اللسان على الاستعمالات اللغوية المتاحة إلى أهداف جمالية تتعلق بالتلقى.

كما بين الألوسى حركة المتلقى مع النص؛ إذ يتخذ الألوسى من حركة المتلقى بين الخوف والرجاء منطلقا لتفضيل قراءة على أخرى؛ فهو يفضل قراءة "مالك" على "ملك" فى قوله تعالى "مالك يوم الدين"[134] لأن فيه "إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث أنه ملك فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه رأسا براس ومن المالك يرجى ما هو فوق ذلك؛ فالقراءة به أرفق بالمذنبين مثلى فإن سماع "يوم الدين" يقلقل أفئدة السامعين،ويشبه ذلك من وجه قوله تعالى"عفا الله عنك لم أذنت لهم"[135].

تعدد أحوال المتلقين:

يشير الألوسى إلى فكرة تعدد أحوال المتلقين وأثره فى البعد التفسيرى للنص القرآنى واختلافهم وفق خلفياتهم الفكرية، فيختلف تلقى العالم بالحكم عن تلقى الجاهل به عن تلقى المتوهم لمعنى خاطئ، ويظهر ذلك فى تفسيره لقوله تعالى "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[136] إذ يقول "الآية صفة للمتقين قبل.. فإذا كان المخاطب جاهلا بذلك المعنى ــ يقصد المعنى الشرعى فعل الواجبات وترك السيئات ــ كان الوصف كاشفا، وإن كان عالما كان مادحا ، وإن حمل على ما يقرب من معناه اللغوى كان مخصصا"[137]، وهو بذلك

لا يشير فقط إلى تعدد المتقين فقط وإنما يشير بدقة إلى ما يقع فى نفوسهم من معان كل حسب حالته المعرفية.

النتائج والتوصيات:

من خلال هذا العرض لبعض ملامح التلقى فى تفسير الألوسى يخلص الباحث إلى النتائج التالية

ـ تنبه الألوسى في تفسير آي القرآن إلى دور الظواهر اللغوية والبلاغية فى التأثير فى المتلقى وإقناعه؛ فالنص يمثل استهدافا للمتلقى بتأثيرات ووسائل أسلوبية يظهر تأثيرها عند تفاعل المتلقى مع النص.

ـ ذكر الألوسى تعدد أحوال المتلقين وبين تأثير النص الواحد على متلقين مختلفين.

ـ بين الألوسى فى عديد من المواضع كيف يضبط النص شكل تلقيه.

ـ بين الألوسى فى تفسيره كيف يتفاعل المتلقى مع النص وكيف يتيح النص بإمكاناته اللغوية هذا التفاعل كمثل أن يثير فى المتلقى سؤالا ثم يجيب النص عن هذا السؤال.

ـ وصف الأنشطة التى يقوم المتلقى الفطن ليستنتج الدلالات الكامنة بالنص.

ويوصى الباحث بإعادة قراءة التراث من منظور حديث ليعرف موقع منجزات التراث العربى من الفكر اللغوى المعاصر.

الحواشي

1 يراجع على سبيل المثال التفتازانى، سعد الدين ، مختصر المعانى،17 وانظر أيضا ما نقله الجاحظ عن بشر بن المعتمر إذ يقول "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان أمكنك إن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام " البيان والتبيين للجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر1/136.

2 شلبى، طارق سعد، الدرس التطبيقى فى النقد العربى، 127

3 إستيتية، سمير شريف، ثلاثية اللسانيات التواصلية 7.

4http://www.unikonstanz.de/FuF/Philo/LitWiss/romanistik/literatur/sites/personalia/jauss/nachruf.htm

5 هولب، روبرت. نظرية التلقى، 201

6 الدينورى، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 75

7 الآمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة، الجزء الأول ص6 وما بعدها

8 الجرجانى،عبد القاهر، دلائل الإعجاز 34.

9 دلائل الإعجاز 546 وما بعدها.

10 سحلول، حسن مصطفى، نظريات القراءة والتأويل الأدبى وقضاياها، 9

11 كما يقول الإمام على ــ كرم الله وجهه ــ حمال أوجه.

12 انظر الاعتراضات على التفسير الإشارى فى التفسير والمفسرون للذهبى ج 1 / 256 وما بعدها.

13 ذكى، محمد صلاح، القضايا البلاغية والأسلوبية فى مفتاح العلوم للسكاكى ص22، ومن المعروف أن إعادة قراءة النص فى ضوء سياقات جديدة لا يغير من طبيعة النص فحسب، وإنما يغير من بنيته كذلك لأن النص يعاد تشكيله حينئذ وفق السياق الجديد للمتلقى، وبالتالى فإن المتلقى وفق هذه النظرة يقتنع بفكرة ثم يحاول لى عنق النصوص كى توافق مقاصده لا مقاصد صاحب النص. أنظر أسامة حسن سكر، السياق فى التفكير البلاغي345.

14 الألوسى، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعانى 10/ 272.

15 روح المعانى ج 9، ص: 391

16 البقرة 21

17 البقرة: 3

18 البقرة: 6

19 البقرة: 9

20 البقرة: 5

21 البقرة: 7

22 البقرة: 0 1

23 روح المعانى 1 / 281.

24 الأعراف 10

25 روح المعانى ج 4، ص: 326
26 البقرة 22
27 روح المعانى ج 1، ص: 190
28 روح المعانى ج 1، ص: 91
29 سورة الأنعام 95
30 روح المعانى، ج 4، ص: 214
31 لسان العرب (أول)
32 سورة الحديد 24
33 روح المعانى 3 / 401.
34 السابق 3 / 401.
35 السابق 464/4.
36 صحراوى، مسعود، التداولية عند العلماء العرب 30.
37 سورة البقرة 111
38 روح المعانى 1 / 543 ومثله 1 / 543 و 2/ 93 و11/ 685.
39 الحباشة، صابر، التداولية والحجاج 41
40 البقرة 196
41 تفسير الألوسى روح المعانى، ج 1، ص: 475
42 أطلق التداوليون على المعنى الصريح بالمعنى القضوى، التداولية عند العرب 35.
43 سورة النساء 150
44 سورة النساء 150
45 سورة النساء 150
46 سورة النساء 150
47 روح المعانى ج 3، ص: 179
48 التداولية عند العرب 32.
49 روح المعانى ج 1، ص: 75 ، ج 1، ص: 347
50 روح المعانى ج 7، ص: 164
51 سورة الإسراء 23
52 روح المعانى ج 8، ص: 55
53 روح المعانى 1 / 143.
54 سورة النساء 43
55 روح المعانى ج 3، ص: 41
56 البقرة 144
57 روح المعانى 2 / 13.
58 الواقعة 27
59 روح المعانى ج 14، ص: 133

60 سورة المائدة 60
61 روح المعانى ج 3، ص: 341 ومثله 12 / 238.
62 عرف حازم القرطاجنى الإقناع بأنه "حمل النفوس على فعل شئ أو اعتقاده أو التخلى عن فعله" منهاج البلغاء وسراج الأدباء 106، ويعتقد الباحث أن الاقناع – بشكل عام – يقوم على تبصير الآخر بالرأى الذى يوصل إليه ويتم الاقتناع بمجرد اعتقاد الطرف الآخر بصحة الرأى أو الفكرة.
63 عبد المطلب، محمد، العلامة والعلامية، ص120.
64 البقرة 96
65 روح المعانى 500/1.
66 سورة لقمان 16
67 روح المعانى 11 / 346.
68 الأنعام 76
69 الأنعام 78
70 روح المعانى ج 4، ص: 191
71 روح المعانى ج 1، ص: 324
72 سورة الفرقان 42
73 روح المعانى ج 10، ص: 23
74 سورة الأحقاف 4
75 روح المعانى ج 13، ص: 163
76 سورة النمل 64
77 روح المعانى ج 10، ص: 219
78 سورة يوسف 40
79 روح المعانى ج 6، ص: 435
80 سبأ 34
81 روح المعانى ج 13، ص: 75
82 روح المعانى ج 3، ص: 341
83 العمرى، محمد، فى بلاغة الخطاب الإقناعى مدخل نظرى وتطبيقى لدراسة الخطابة العربية 69 وما بعدها.
84 الأنبياء: 22
85 روح المعانى ج 8، ص: 79 ومنه أيضا قوه تعالى "وما أنتم له بخازنين"يقول الألوسى "نفى سبحانه عنهم ما أثبته لنفسه"روح المعانى 44/8
86 سورة البقرة 130
87 روح المعانى ج 1، ص: 386
88 البقرة 189
89 روح المعانى 2 / 105.
90 المائدة: 91

91 روح المعانى ج 4، ص: 17
92 سورة آل عمران 20
93 المائدة: 91
94 روح المعانى، ج 2، ص: 105
95 روح المعانى، ج 6، ص: 224
96 البقرة 133.
97 روح المعانى 1 / 590.
98 روح المعانى 3 / 236.
99 سورة النساء 73
100 سورة النساء 73
101 روح المعانى 3 / 473.
102 سورة آل عمران 49
103 روح المعانى 2 / 491.
104 سورة يوسف 21
105 روح المعانى 7 / 287.
106 روح المعانى 602/13 ومثله 13 / 712.
107 سورة يس 57
108 روح المعانى 12 / 51.
109 المرسلات 30
110 المرسلات 31
111 روح المعانى 268/14.
112 التين 6
113 روح المعانى 549/14.
114 روح المعانى 10 / 367 ، ومثله 8 / 12
115 التداولية والحجاج 42.
116 التداولية والحجاج 43.
117 ويقترب هذا المفهوم من مفهوم ضبط الاستقبال عند ريفاتير وهو يعنى به الوسائل الأسلوبية التى تعمل على وجوب فهم النص كما أراد مؤلفه أن يفهم إذ يظهر المؤلف "شديد الوعى بما يصنع؛ لأنه يهتم بالكيفية التى يريد أن تترجم بها رسالته إلى درجة أن ما ينقل إلى القارئ لا يقتصر على دلالة الرسالة، بل على موقف المؤلف من هذه الرسالة أيضا، فهو يلزم القارئ بأن يفهم وهذا أمر طبيعى، ولكنه يلزمه أيضا أن يشاطره الرأى فيما يهم وما لا يهم من رسالته" ريفاتير، معايير لتحليل الأسلوب 128
118 النبأ 1، 2
119 غافر 16
120 روح المعانى، ج 15، ص: 203

121 شلبى، طارق سعد، الدرس التطبيقى ، ص135 ويرى أن لتلك العلاقة الحق فى كونها أساسا من أسس الدرس الأسلوبى لذلك.
122 البقرة الآية 16
123 البقرة: 5.
124 روح المعانى ج 1، ص: 163
125 البقرة 2
126 البقرة 2
127 البقرة 2
128 روح المعانى ج 1، ص: 113
129 روح المعانى ج 6، ص: 155 وقريب من هذه الفكرة فرضية القارئ الضمنى "وتتمثل فى دراسة أبنية النصوص الأدبية ذاتها لرصد استراتيجيات المرسل التى يتخذها كى يلفت انتباه المرسل إليه، مما يجعله يترك فى النص فراغات كافية تسمح بتنشيط عملية القراءة فى التعامل البناء للخلق الفنى للعمل الأدبى " د.صلاح فضل – مناهج النقد المعاصر 149. لا يقول الباحث بالتطابق التام بين الفكرتين؛ إذ لا يمكن القول بأن بالقرآن الكريم فراغات ولكن يمكن القول بأنه يتيح للمتلقى التفاعل معه بأن يثير فيه سؤالا تأتى الإجابة عنه بعده.
130 الأوامُ بالضم العَطَش وقيل حَرُّه وقيل شِدَّةُ العَطش لسان العرب (أوم)
131 روح المعانى ج 8، ص: 321
132 آل عمران: 191
133 روح المعانى ج 2، ص: 370
134 الفاتحة 4
135 روح المعانى 1 / 141، ومن الملاحظ أن الألوسى فى هذا الشاهد لم يتوقف عند ربط اللفظ بمدلوله من حيث العموم والخصوص، وإنما تعدى ذلك إلى ربطه بالمتلقى، وهذا بعد تداولى نادى به المحدثون من علماء اللسانيات.
136 البقرة الآية 3
137 روح المعانى 1 / 181.

قائمة المصادر والمراجع:

- الآمدي، أبو الحسن ابن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، (د.ت)
- الألوسى، أبو الفضل شهاب محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، تحقيق على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2001م.
- التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعانى، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ.
- الجاحظ، أبى عثمان عمرو بن بشر، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى القاهرة الطبعة السابعة 1418هـ.
- الجرجانى، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، القاهرة، (د.ت)
- الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر دمشق، الطبعة الأولى، 2008م
- الدينورى، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر، (د.ت)
- الذهبى، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة، (د.ت)
- العمري، محمد، فى بلاغة الخطاب الإقناعى مدخل نظرى وتطبيقى لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق ــ الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2002م
- القرطاجنى، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامى بيروت، الطبعة الثالثة 1986م.
- ريفاتير، ميكائيل، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة حميد لحمدانى، منشورات دراسات سال البيضاء، الطبعة الأولى، 1993م.
- زكى، محمد صلاح، القضايا البلاغية والأسلوبية فى مفتاح العلوم للسكاكى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس القاهرة، 1996م
- سحلول، حسن مصطفى، نظريات القراءة والتأويل الأدبى وقضاياها، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م.
- سكر، أسامة حسن، السياق فى التفكير البلاغى عند العرب فى ضوء النظريات الحديثة، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة المنوفية، 2007م.
- شلبى، طارق سعد، الدرس التطبيقى فى النقد العربى، زهرة المدائن، القاهرة، 2001م
- صحراوى، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.
- عبد المطلب، محمد، العلامة والعلامية دراسة فى اللغة والأدب، الوطن العربى للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت).
- فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، الطبعة الأولى، 2002م.
- هولب ،روبرت، نظرية التلقى ، ترجمة: عز الدين إسماعيل، النادى الأدبى، جدة، ط1، 1994.